



بانوراما

شهادات ومواقف من قلب الحركة الاحتجاجية

أهل الثقافة والإبداع... حين ينزلون إلى الشارع

منذ 17 تشرين الاول، انضم العديد من المثقفين والمبدعين، وتحديدًا أهل الادب والمسرح والموسيقى والفنون البصرية والتمثيل والخراج الى ساحات الاحتجاج، فانجز بعضهم اعمالاً فنية مستوحاة من تلك اللحظة، فيما حمل آخرون مطالب الناس. ماذا يقول هؤلاء الذين يشكلون الضمير الوطني عند المفترقات التاريخية؟



الممثلون عبدو شاهين وبيديع ابو شقرا ووجيه صقر وانجو ريجان والمغنية باسكال صقر في التظاهرات.

لم يكن الفن يوماً في منأى عن قضايا زمنه السياسية والاجتماعية والاقتصادية. بل انه لطالما كان وسيلة للتعبير عن موقف او فكر معين، ساهم بشكل فعال في تشكيل وجهة نظر الشعوب الى القضايا والاحداث المختلفة. رسامون شهرون كباولو بيكاسو استخدموا الفن وسيلة للتعبير عن ادانتهم لظرف اجتماعي وسياسي معين. مثلاً، حين قصفت الطائرات الحربية الإيطالية والألمانية مدينة في شمال اسبانيا خلال الحرب الأهلية الإسبانية عام 1937، رد بيكاسو على هذه الجريمة بأن جسد عذابات المدنيين عبر لوحته الشهيرة "غيرنيكا" التي ما زالت حتى اليوم شاهداً بصرياً على بشاعة الحروب وظلمها في كل زمان ومكان. الامثلة على ذلك كثيرة عربياً وغربياً وفي مجالات الإبداع المختلفة.

المدينة وعصرها الذهبي. تزينت جدران العاصمة بالجرافيتي والرسوم المنتفضة المنادية بالتغيير، فيما اكب تشكيليون على تخليد تلك اللحظة كالرسم المعروف جميل ملاعب والتشكيلي محمد شرف وغيرهما، وفتحت الصالات الفنية ابوابها، محتضنة لوحات تعبر عن رؤية الفنان الى ما يحصل على الارض، فاقبعت معارض جماعية ضمت مختلف الاعمال التي جسدت هذا الحراك.

وفي وقت تنازل فيه المسارح باللحم الحي من اجل الاستمرار والبقاء في بلد يشهد انحساراً في القدرة الشرائية، وتراجع الاقبال على العروض وغياب الدعم الرسمي، قررت الصالات المسرحية ك"مسرح المدينة" فتح فضاءها مجاناً للمخرجين والممثلين الذين يودون تقديم عروض تقبض على هذه اللحظة المفصلية في تاريخنا. هكذا، قدم المخرجان شادي الهبر ومايا سبيلي اخيراً مسرحية "حياتي ثورة" في "مسرح المدينة"، ليقاربا قضايا واشكاليات راهنة، الى جانب عروض احتضنتها فضاءات اخرى في العاصمة وخارجها.

انخرط الفن في الحراك والتحم به، وعبر عنه. وفي موازاة هذه الحركة الفنية "الثورية"، كان هناك فنانون ينخرطون بجسمهم في الحراك، بل يلعبون دوراً قيادياً وتوجيهياً فيه امثال عبده شاهين، وبيديع ابو شقرا، الى جانب آخرين ظلوا حاضرين في التظاهرات مثل الممثلة عايدة صبرا. لكن اذا كان الفن هو مرآة عصره وزمنه وقضاياها، فهل يستطيع الفنان ان يساهم في التغيير المنشود فعلاً؟ وهل يلعب الفنان الملتزم قضايا شعبه دوراً مؤثراً في مجرى الاحداث؟ وماذا ينتظر الفنان اللبناني، بشكل خاص، من هذه التظاهرات؟

بيديع ابوشقرا: دولة مدنية

صحيح ان الكثير من الفنانين اللبنانيين اعربوا عن دعمهم لما يجري على الارض، اكان عبر المشاركة الفعلية، او عبر الاطلاقات التلفزيونية،

او عبر صفحاتهم على السوشال ميديا. الا ان الممثل بيديع ابو شقرا اختار اكثر من ذلك. رأيناه في الساحات داعماً وفاعلاً مؤثراً، ووجهاً فنياً لعب دوراً قيادياً وتوجيهياً في هذه التظاهرات. لكن قبل ذلك بسنوات، عرفنا ابوشقرا مواطناً لديه مواقف سياسية بالمعنى الواسع للكلمة. لطالما عبر في اطلالاته العديدة عن حلمه بدولة مدنية، ووطن يتساوى فيه الكل في ظل قوانين عصرية ودولة مدنية. نادى ايضاً بحقوق المرأة، والمساواة وغيرها من الحقوق التي تندرج تحت عنوان الدولة المدنية الحديثة.

من هنا، لم يكن ربما مستغرباً ان يكون في طليعة الفنانين الذين التحقوا بالشارع منذ 17 تشرين الاول تحت يافطة هذه المطالب. نظم تحركات ووقفات احتجاجية رمزية في اماكن ومؤسسات رسمية معينة مع زملائه امثال الممثل عبده شاهين وانجو ريجان وفادي ابي سمرا وغيرهم. الا انه في حديثه الينا، لا يعتبر انه لعب دوراً قيادياً في الحراك.

يقول لـ"الامن العام": "انا كنت فقط واحداً من هؤلاء الناس الراضين للحالة الراهنة المزمزة التي لم تتحسن منذ وقت طويل رغم وعود المسؤولين الكثيرة بذلك. في النهاية، ما عادت الناس تحتل هذا الواقع وهذا الظلم والذل. لذا، شعر المرء في هذه الحالة بأنه هو المواطن، وهو الذي يملك الوطن. فالدولة في النهاية هي موظفة عند المواطن الذي يسدد معاشها من الضرائب. بالتالي، فهي التي في خدمة المواطن، موكلة بتنظيم اموره وتحقيق مطالبه وتأمين حياة كريمة ورغيدة له. لهذا السبب، جاءت حالة الرفض التي نشاهدها اليوم بطريقة عفوية من الناس، ونحن في النهاية جزء من الناس".

عن الدور الذي يمكن للفنان ان يلعبه في الحراك، ومدى قدرته على التأثير في مسار الامور، يجيبنا: "بطبيعة الحال، حين يكون الانسان وجهاً معروفاً، فان رسالته تصل بشكل اسرع واكثر انتشاراً من غيره، بحكم شهرته. وبالتالي، يكون تأثيره اكبر. لكن ذلك يستتبع معه مسؤوليات اكبر، كما يعرض صاحبه لمضايقات ربما من اناس لا يعرفون فعلاً رأيه السياسي. اذ يتعرض احياناً للشتم والمضايقة وغيرهما. لكن بشكل عام، وبغض النظر عن التظاهرات والاحتجاجات ◀

نقطة على السطر

صمت المثقفين

ليس المثقفون ولا يمكن ان يكونوا "صنفاً مهنياً" بين سائر الفئات، بل هم حالة استثنائية في كل مجتمع. كلما ازداد المجتمع تقدماً ونضجاً وحضارة، ازداد مكانهم اهمية، والدور المنوط بهم حيوية وتأثيراً في حياة الحضارة.

نقول "مكانهم"، لا "مكانتهم"، اذ ان المسألة لا تتعلق بأي تعال او تمايز طبقي، او امتيازات خاصة بهم، تجعلهم "افضل" او "اهم" من سواهم، وتعتقلهم في برج عاجي، منه يطلون على ابناء مجتمعهم. بالعكس، هم في خدمة الجماعة، وفي قلب المجتمع، يخوضون غمار الواقع، ولا يهابون وحوله، ومشقاته، تناقضاته وتحدياته ودروبه الوعرة. انهم ببساطة شهود على قضايا زمنهم، وتطلعات شعوبهم، ودروس الماضي، وتحديات الراهن ورؤى المستقبل. ان تكون مثقفاً (و"المثقف" هنا يشمل كل المشتغلين بالفكر والعلم والمعرفة والابداع على انواعه شرط ان ينخرطوا في المعترك ويعتبروا انفسهم طرفاً فيه)، ان تكون مثقفاً اذا معناه ان تضطلع بالمسؤولية الفكرية والاخلاقية والوطنية والانسانية. ان تكون قدوة، ومرجعاً، وصوتاً يؤثر، بشكل أو بآخر في مجرى الامور. هكذا كان فولتير في عصره، والمعلم بطرس البستاني كذلك، اندريه مالرو او غالييليه او ابوحيان التوحيدي، مايكوفسكي او طه حسين. والقائمة تطول.

المثقف يفكر بإشكاليات ومساائل تتعلق بحياة الناس وحقوقها وسعادتها وتساؤلاتها الزمانية والمكانية. يرى، ويحلل، ويحاول ان يفهم، ويفكر بصوت مرتفع، ويقترح على الجماعة دروباً تسلكها وتماذج تتبناها.

المثقف يعيش كي يشهد. يشهد للحق، او يشهد على احداث زمانه، ومعارك عصره، ويعلق عليها. لكنه غالباً ما يكون طرفاً فيها ايضاً. احياناً يصطدم بالبنى الفكرية او الاجتماعية القائمة، بالسلطة السياسية أو الاقتصادية المهيمنة، كونه يسعى الى النقد ويطالب بالحق والعدالة، ويدعو إلى التغيير والتجديد. لكنه في كل الاحوال ضمير الجماعة، وبوصلتها وصوتها، حتى لو نبذ معاصروه او تعرض للسجن والقمع والتهميش والنفي والاضطهاد، فسيأتي يوم يعود اليه المجتمع والمرجعيات العلمية والاكاديمية، وتذكره الكتب والموسوعات والمناهج التعليمية، وتبقى الاجيال اللاحقة مدينة له، تستثمر اضافاته وتراثه، وتقنّدي بطليعيته وشجاعته.

في لبنان، منذ 17 تشرين الاول 2019، نزل الناس من كل الطبقات والمناطق والاعمار والفئات للمطالبة بالعدالة ومستقبل افضل. الغضب الشعبي استغلته المحطات التلفزيونية، اسطرته وحولته موضة واستعراضاً. جاء بعض الفنانين يبحثون في الساحات عن ترميم شعبيتهم او تلميح نجوميتهم الآفلة، فيما نزل آخرون ليضموا اصواتهم الى الشعب. لكن المثقفين، بشكل عام، ما زالوا ملتزمين الصمت. لم نسمع او نقرأ المعلمين الكبار والمفكرين، باستثناء اصوات مبعثرة سرعان ما ابلتعاها العالم الافتراضي. هل سيقبضهم الاحداث وفقدوا لغة التخاطب مع المجتمع؟ هل هو الحذر النقدي الذي يقتضي التريث والرصد والانتظار؟

في كل الاحوال ما زال الوقت مناسباً، وساحات النقاش مفتوحة، والاجيال المقبلة تنتظر من يضيء لها دروب المستقبل.

وعن قدرة الفنان على التأثير في مجرى الاحداث، تجيب: "كما تعرف، فالفنان يتمتع باعتبار معين بين الناس، خصوصا اذا كان محبوبا. يمكن ان تأتي مشاركته كدعم، لان للتغيير آليات كثيرة، كاستجلاب اختصاصيين في القانون وفي السياسة. نحن الفنانين تأتي مشاركتنا كعنصر داعم في التغيير، وقد نحمل لواء المطالب وحقوق المواطن كي نضيء عليها اكثر لان صوت الفنان مسموع اكثر ربما".

لكن صبرا واقعية في نظرتها الى التغيير المنشود، اذ تقول: "لا تنس اننا في نظام تجذر فيه الفساد منذ ثلاثين سنة. وهذا التغيير الجذري يستغرق وقتا طويلا. كما يتطلب تغيير عقلية الناس التابعين للزعماء. ان نعلمهم اهمية الانتماء الى الوطن، وما يعنيه ذلك. ان يكون للمواطن مسؤوليات تجاه الدولة، كما للدولة مسؤولياتها تجاه المواطن. يتطلب الامر تدريب المواطن ايضا على رفض المحسوبيات، والرشى، واحترام النظام والقانون من اجل بناء وطن. والاهم يجب ان يكتسب الحس الجماعي، لا النزعة الفردية كما هي الامور اليوم والمستمرة منذ سنوات. في اختصار نحتاج وقتا طويلا لترسيخ عقلية المواطنة في البيت والمدرسة وفي النظام كله".

وعما تنتظره عابدة صبرا من التظاهرات، تعلق: "انا عشت لسنوات في مونتريال. كنت ادفع ضرائبي العالية لكن في المقابل يحصل المواطن هناك على استشفاء مجاني، وضمان شيخوخة، واسعار مخفضة لكل من تخطى الـ65 عاما اكان في المطاعم او في المواصلات او في الانشطة الثقافية والفنية وغيرها. والمدارس الرسمية تحظى بدعم الدولة، والطالب هناك يدفع قسما يسيرا ولا يشعر المرء بأنها مكان للفقراء لانها مصممة بطريقة تعامل كل الطبقات بعدل وانصاف ومساواة، وهناك الطرقات المجهزة، والمواصلات الميسرة، والمساعدا في حال كنت عاطلا عن العمل وغيرها. صحيح ان الضرائب عالية، لكنك في المقابل تحصل على خدمات جمّة. وربما يعانون من الفساد، لكن ليس الى الدرجة التي بلغناها هنا في لبنان. نحن هنا نمضي حياتنا في تسديد الفواتير. لذا، فالمواطن هناك مطمئن لانه يشعر انه يعيش في كنف دولة تحميه. من منا لا يطمح بالعيش في بلد مماثل؟".

س.م.



"ثورة لبنان"، جميل ملاعب (زيت على كانفاس - 2019).



"من دون عنوان"، محمد شرف (زيت على كانفاس - 2019).

ابوشقرا: على الفنان ان يعبر عن رأيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي

اعتبر ان ثورتي هي على الطرفين: على المواطن كما على الدولة. اثور على المواطن كي يعي ويعرف مصلحته ويعيش فعلا كمواطن. مثلا، حين يعيش اللبناني في الغربة، يحترم القوانين في المجمع، ويسير وفق النظام. نحن قادرون على تحقيق نموذج لبلد مثالي لان لبنان يحوي مقومات وكفاءات ومؤهلات عالية حتى يكون بلدا جميلا وهذا ما نطمح اليه".



الممثلة والمخرجة عابدة صبرا خلال التظاهرات.

الحالية، فان تأثير الفنان كبير، خصوصا في المسرح والسينما. فهناك قضية يحملها الفنان، وليس هناك فنان من دون قضية، والا سيكون مجرد صورة معروفة. من هذا المنطلق، يضطلع الفنان بمسؤولية كبيرة جدا، ومن الخطأ ان لا يعبر عن رأيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي في البلد، ويكون عنصرا فعالا في التغيير والمواجهة وفي الصف الاول في هذه المعارك ايضا".

اخيرا، ما الذي ينتظره بديع ابوشقرا من الحركة الاحتجاجية؟ وهل ستفضي الى نتيجة تصب في مصلحة الشعب والبلد بشكل عام؟ يختم بنبرة متفائلة لكن واقعية: "حين نكون في حالة ثورة، لا يجب التفكير في النتيجة. يجب ان يفكر اننا في حالة ثورة ونرفض الواقع الراهن، ولدينا مطالب محددة، وسنفعل المستحيل لتحقيقها. يجب على الشعب ان يلاحق حلمه بالتغيير. ثانيا، المطالب واضحة منذ اليوم الرابع، والكل مجمع عليها، وهي حكومة مستقلة من اصحاب اختصاص بعيدا عن السياسيين والسلطة، واجراء انتخابات مبكرة وتجريم التدخل في القضاء، ووضع سياسة اقتصادية انقاذية للبلد، الى جانب قانون لاعادة الاموال المنهوبة ووقف الفساد، وقانون انتخابي عصري يناسب احلامنا واحلام اللبنانيين".

اما حلم ابوشقرا لوطنه، فهو "دولة حرة مستقلة علمانية، وفصل الدين عن الدولة والغاء الطائفية كليا".

عابدة صبرا: خدمات وعيش كريم

حين اتصلنا بالممثلة عابدة صبرا، حاملين اليها اسئلتنا، كان صوتها يخرج بعيدا، تشوشه جلبة الشارع والكثير من الضوضاء. عرفنا منها انها في وسط بيروت مع المتظاهرين.

نقول لها انها من الوجوه المسرحية القريبة الى الناس، اكان بفنها او شخصيتها، ونسألها عن السبب الذي دفعها الى الالتحاق بالتظاهرات الاحتجاجية، فتجيبنا: "التحق بهم بكل بساطة لاننا وصلنا الى فساد لا يحتمل في البلد، ولان مطالب هؤلاء محقة مثل المطالبة بدولة مدنية حيث المواطن يسدد الضرائب لكنه يتلقى ايضا في المقابل خدمات كما يحصل في كل دول العالم. وايضا، لان نسبة البطالة وصلت الى خمسين في المئة في اوساط الخريجين الجدد الشباب.

وهناك التلوث الذي يزداد، والمصانع التي تقفل ابوابها، والزراعات التي تضمحل، والطرق غير الامنة التي تمتلئ بحوادث السير، والهدر المالي وقضية الاملاك البحرية وغيرها من المشاكل. في المقابل، لم يتحقق اي مشروع تنموي من الاموال التي منحت للبنان.... كل هذه الاسباب جعلتنا نلتحق بالشارع. بالنسبة الي، منذ عام 2011، وانا ضد النظام الطائفي، واعتبر انه يجب فصل

الدين عن الدولة حتى تسير الدولة بشكل سليم وصحي وعادل. وجاءت التظاهرات على خلفية قضية النفايات عام 2015 التي نشاهد اليوم نتائجها الكارثية".

الا ان صبرا تعقب هنا: "انا لا احمل الدولة فقط مسؤولية كل هذه المشكلات. بل اعتبر ان هذه الثورة هي ثورة على المواطن ايضا كي يعي اننا نحن من اوصلنا انفسنا الى هنا.